والمجادلة : مفاعلة من الجدل وهو إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره وقد تقدم في قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) في سورة النساء . وبهذا يعلم أن لا علاقة لهذه الآية بحكم قتال أهل الكتاب حتى ينتقل من ذلك إلى أنها هل نسخت أم بقي حكمها لأن ذلك خروج بها عن مهيعها .

والمجادلة تعرض في أوقات المسلم وأوقات القتال .

وأهل الكتاب : اليهود والنصارى في اصطلاح القرآن . والمقصود هنا اليهود فهم الذين كانوا كثيرين في المدينة والقرى حولها . ويشمل النصارى إن عرضت مجادلتهم مثل ما عرض مع نصارى نجران .

و (التي هي أحسن) مستثنى من محذوف دل عليه المستثنى تقديره : لا تجادلوهم بجدال إلا بجدال بالتي هي أحسن .

و (أحسن) اسم تفضيل يجوز أن يكون على بابه فيقدر المفضل عليه مما دلت عليه القرينة أي بأحسن من مجادلتكم المشركين أو بأحسن من مجادلتهم إياكم كما تدل عليه صيغة المفاعلة .

ويجوز كون اسم التفضيل مسلوب المفاضلة لقصد المبالغة في الحسن أي إلا بالمجادلة الحسنى كقوله تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) في آخر سورة النحل . فا جعل الخيار للنبي صلى ا عليه وسلم في مجادلة المشركين بين أن يجادلهم بالحسنى كما اقتضته آية سورة النحل وبين أن يجادلهم بالشدة كقوله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) فإن الإغلاظ شامل لجميع المعاملات ومنها المجادلات ولا يختص بخصوص الجهاد فإن الجهاد كله إغلاظ فلا يكون عطف الإغلاظ على الجهاد إلا إغلاظا غير الجهاد .

ووجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب أن أهل الكتاب مؤمنون با غير مشركين به فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذرا من تنفيرهم بخلاف المشركين فقد ظهر من تصلبهم وصلفهم وجلافتهم ما أيأس من إقناعهم بالحجة النظرية وعين أن يعاملوا بالغلظة وأن يبالغ في تهجين دينهم وتفظيع طريقتهم لأن ذلك أقرب نجوعا لهم .

رجاء به يسمح ما وبقدر الكتاب أهل مجادلة ابتداء في الحال يكون أن ينبغي وهكذا A E الاهتداء من طريق اللين فإن هم قابلوا الحسنى بضدها انتقل الحكم إلى الاستثناء الذي في

قوله (إلا الذين ظلموا منهم) .

و (الذين ظلموا منهم) هم الذين كابروا وأظهروا العداء للنبي صلى ا عليه وسلم وللمسلمين وأبوا أن يتلقوا الدعوة فهؤلاء ظلموا النبي صلى ا عليه وسلم والمسلمين حسدا وبغضا على أن جاء الإسلام بنسخ شريعتهم وجعلوا يكيدون للنبي صلى ا عليه وسلم ونشأ منهم المنافقون وكل هذا ظلم واعتداء .

وقد كان اليهود قبل هجرة المسلمين إلى المدينة مسالمين الإسلام وكانوا يقولون : إن محمدا رسول الأميين كما قال ابن صياد لما قال له النبي صلى ا عليه وسلم " أتشهد أني رسول ا ؟ فقال : أشهد أنك رسول الأميين " . فلما جاء المدينة دعاهم في أول يوم قدم فيه وهو اليوم الذي أسلم فيه عبد ا بن سلام فأخذوا من يومئذ يتنكرون للإسلام .

وعطف (وقولوا آمنا) إلى آخر الآية تعليم لمقدمة المجادلة بالتي هي أحسن . وهذا مما يسمى تحرير محل النزاع وتقريب شقة الخلاف وذلك تأصيل طرق الإلزام في المناظرة وهو أن يقال قد اتفقنا على كذا وكذا فلنحتج على ما عدا ذلك فإن ما أمروا بقوله هنا مما اتفق عليه الفريقان فينبغي أن يكون هو السبيل إلى الوفاق وليس هو بداخل في حيز المجادلة لأن المجادلة تقع في موضع الاختلاف ولأن ما أمروا بقوله هنا هو إخبار عما يعتقده المسلمون وإنما تكون المجادلة فيما يعتقده أهل الكتاب مما يخالف عقائد المسلمين مثل قوله (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) إلى قوله (وما كان من المشركين) .

ولأجل أن مضمون هذه الآية لا يدخل في حيز المجادلة عطفت على ما قبلها ولو كانت مما شملته المجادلة لكان ذلك مقتضيا فصلها لأنها مثل بدل الاشتمال .

ومعنى (بالذي أنزل إلينا) القرآن